

روح المعاني

قطع أطماع عبیده جل وعلا بهذه الآیة فمن رفع بعد هذا حاجة إلى غیره تعالی شأنه فهو جاهل ملوم وكان الجنید قدس سره إذا قرأ هذه الآیة يقول : فأین تذهبون يقال : خزائنه تعالی فی الأرض قلوب العارفين وفيها جواهر الأسرار ومنهم من قال : النفوس خزائن التوفيق والقلوب خزائن التحقيق والألسنة خزائن الذكر إلى غیر ذلك وأرسلنا على القلوب الرياح النفحات الإلهية لواقع بالحكم والمعارف قال ابن عطاء : رياح العناية تلمح الثبات على الطاعات ورياح الكرم تلمح في القلوب معرفة المنعم ورياح التوكل تلمح في النفوس الثقة بالله تعالی والإعتماد علیه وكل من هذه الرياح تظهر في الأبدان زيادة وفي القلوب زيادة وشقى من حرمها فأزلنا من السماء أي سماء الروح ماء من العلوم الحقيقية فأسقيناكموه وأحييناكم به وما أنتم له أي لذلك الماء بخازنين لخلوكم عن العلوم قبل أن نعلمكم وإنما لنحيي القلوب بماء العلم والمشاهدة ونميت النفوس بالجد والمجاهدة وقيل : نحیی بالعلم ونميت بالإفناء في الوحدة وقيل : نحیی بمشاهدتنا قلوب المطيعين من موت الفراق ونميت نفوس المریدين بالخوف منا وقهر عظمتنا عن حياة الشهوات وقال الواسطي : نحیی من نشاء بنا ونميت من نشاء عنا وقال الوراق : نحیی القلوب بنور الإيمان ونمین النفوس باتباع الشيطان وقيل وقيل : ونحن الوارثون للوجود والباقون بعد الفناء ولقد علمنا المستقدمين منكم وهم المشتاقون الطالبون للتقدم ولقد علمنا المستأخرين وهم المنجذبون إلى عالم الحس باستیلاء صفات النفس الطالبون للتأخر عن عالم القدس وروضات الإنس ومن هنا قال ابن عطاء : من القلوب قلوب همتها مرتفعة عن الأدناس والنظر إلى الأكوان ومنها ما هي مربوطة بها مقترنة بنجاستها لا تنفك عنها طرفة عين وقيل : المستقدمين الطالبون كشف أنوار الجمال والجلال والمستأخرون أهل الرسوم الطالبون للحطوط والأعراض وقيل : الأولون هم أرباب الصحو الذين يتسارعون إذا دعوا إلى الطاعة والآخرون سكارى التوحيد والمعرفة والمحبة وقيل : الأولون هم الآخذون بالعزائم والآخرون هم الآخذون بالرخص وقيل : غیر ذلك وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فيه إشارة إلى عظم شأن آدم علیه السلام حيث أخبر سبحانه بخلقه قبل أن يخلقه وسماه بشرا لأنه باشر خلقه بيديه ولم يثن سبحانه اليد لأحد إلا له وهو النسخة الإلهية الجامعة لصفات الجمال والجلال فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين أضاف سبحانه الروح إلى نفسه تشريفا لها وتعظيما لقدرها لما أنها سر خفي من أسرارہ جل وعلا ولذا قيل : من عرف نفسه عرف ربه وعلق تبارك شأنه الأمر بالسجود بالتسوية والنفخ لما أن أنوار الأسماء والصفات وسناء سبحات الذات

إنما تظهر إذ ذاك ولذا لما تم الأمر وجلدت النسخة فظهرت أنوار الحق وقرئت سطور الأسرار
استصغروا أنفسهم فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس لما أعمى الله تعالى عينه عن مشاهدة
ما شاهدوه أبى أن يكون من الساجدين ولو شاهد ذلك لسجد كما سجدوا قال لم أكن لأسجد لبشر
خلقته من صلصال من حمإ مسنون غلط اللعين في زعمه أنه خير من آدم عليه السلام ولم يخطر
في باله أيضا أن المحب الصادق يمثل أمر محبوبه كيف كان ومن هنا قيل : لو قال تيهاقف
على جمر الغضى لوقفت ممثلا ولم أتوقف وقال بعض أهل الوحدة : إن الملعون ظن أنه مستحكم
في توحيده حيث لم يسجد لغيره تعالى وقد أخطأ